الفصل الثالث
النبوة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العقل الإنساني وحاجته إلى هدى النبوة.

المطلب الأول: وجود العقل.

المطلب الثاني: حاجة العقل إلى هدي النبوة.

المبحث الثاني: مناقشة منكري النبوات.

المبحث الثالث: النبوة العامة.

المطلب الأول: النبوة ومهمتها.

المطلب الثاني: مستلزمات النبوة: صفات الأنبياء، الوحي، المعجزة.

المبحث الرابع: النبوة الخاصة.

المطلب الأول: إثبات نبوة محمد ﷺ.

المطلب الثاني: رسالته خاتمة الشرائع وأصول دعوته.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول
العقل الإنساني وحاجته إلى هدى النبوة

وفيه مطلبان:

الأول: المعرفة العقلية.

الثاني: حاجة العقل إلى هدى النبوة.

المطلب الأول
المعرفة العقلية

وجود العقل:

القول بوجود العقل وبأن إدراكاته موصلة بصحيح النظر إلى العلم والمعرفة هو قول العقلاء عامة، وفلاسفة الإسلام خاصة.

والمعارض في ذلك فريقان:

الفريق الأول: يعترف بوجود العقل ولكنه ينكر معارفه العقلية وحقائقه العلمية ولا يقيم وزناً لإدراكاته. وهم طائفة من فلاسفة اليونان القدامى (السوفسطائيون)[1].

وذهب مذهبهم جماعة من المسلمين حيث ذهب البعض وهم الشيعة

---

(١) انظر قصة الإيمان للشيخ نديم الجسر ص٣٧. وسفسطائي كلمة يونانية تعني «الحكيم»، والسوفسطائيون جماعة من معلمي الحكمة ظهروا في القرن الخامس قبل الميلاد في اليونان القديمة. وأشهر دعاتها: بروتاكوراس (٤٨٠ق.م) ودانتفون وبروديكوس. انظر مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع للدكتور عبدالرزاق مسلم الماجد ص٦٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واتفقت المذاهب الإسلامية على عدم الاقتصار على المعارف العقلية، وقرروا حاجة العقل الإنساني إلى مُعِين يستعين به في تحديد الأعمال، وتعيين الوجه في الاعتقاد بصفات الله، ومعرفة ما ينبغي أن يعرف من أحوال الآخرة، وتنبيه العقل إلى ما غفل عنه، أو ضعف عن إدراكه، وذلك المعين هو النبي، ووافقهم في ذلك جل الفلاسفة وجميع المؤمنين بالشرائع السماوية. وخالف في ذلك بعض الفلاسفة كبراهمة الهند، حيث اكتفوا بالمعارف، وقرروا عدم حاجة العقل الإنساني إلى هدى النبوة.

المطلب الثاني
حاجة العقل الإنساني إلى هدى النبوة

إيمان العقل.. وإيمان الوحي..

إن الاعتقاد بوجود الله تعالى والإيمان بصفاته الكمالية، كما يتم بواسطة مَن اختصهم الله بالبشارة والنذارة، يتم بالعقل الإنساني على نحو الاستقلال. فإذا وصل مستدل ببرهانه إلى إثبات وجود الله تعالى والإيمان بصفاته غير السمعية دون أن تبلغه بذلك دعوة نبي كما حدث لبعض مَن سمت عقولهم، وصفت نفوسهم من البشر، ثم انتقل من النظر في ذلك إلى الاعتقاد ببقاء النفس الإنسانية بعد الموت، وأن لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقى فيها بعذاب أليم. وأعتقد أن السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية مقرونان بأعمال الإنسان في هذه الحياة الفانية، سواء أكانت تلك الأعمال قلبية كالاعتقادات، أو بدنية كأنواع العبادات، ثم خلص من ذلك إلى أن سعادة النفس إنما تكون بمعرفة الله وبالفضائل، وأن شقاوتها إنما تكون بالجهل بالله تعالى وبالرذائل، فلا مانع حينئذ من أن يدعو هذا الإنسان المدرك لهذه الحقائق إلى الله، وأن يضع لذلك ما يشاء من القوانين ليدعو بقية البشر إلى الاعتقاد بمثل ما يعتقد وإلى أن يأخذوا من الأعمال بمثل ما أخذ به من حيث لم يوجد شرع يعارضه[1].

---

(١) انظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص٧٢ و٨٩ وفي ٩٠ يقول: «اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين ملبين وفلاسفة إلا قليلاً لا يقام لهم وزن على: أن لنفس الإنسان بقاء تحيا به مفارقة البدن وأنها لا تموت موت فناء (أي لا تزول زوالاً مطلقاً)، وإنما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء. وإن اختلفت منازعهم في تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه، وتباينت مشاربهم في طريق الاستدلال عليه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شفاعة محمد ﷺ

الشفاعة لغةً: الوسيلة والطلب.

وعُرفاً: سؤال الخير للغير.

وهي مشتقة من الشَّفْع الذي هو ضد الوَتْر. فكأنَّ الشافع ضمّ سؤاله إلى سؤال المشفوع له. والمشفِّع ـ بكسر الفاء ـ: الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع ـ بفتح الفاء ـ الذي تُقبل شفاعته[1].

والشفاعة قسمان مثبتة ومنفية:

١ ـ **الشفاعة المثبتة**: وهي التي أثبتها الله تعالى لأهل الإخلاص، ولها شرطان هما:

إذن الله تعالى للشافع، ورضاه تعالى، وهما المذكوران في قوله تعالى:

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله سبحانه: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩][2].

فيقف الشافع من الله سبحانه موقف الضارع يستنزل رحمة الله وإحسانه. فالشفاعة هذه دعاء مستجاب، وسبب من الأسباب التي يرتب الله تعالى عليها المغفرة أو التخفيف أو رفع الدرجات، بدليل حديث الصحيحين وغيرهما: (أن النبي ﷺ يسجُد يومَ القيامة، ويُثني على الله تعالى الثناءَ يُلهِمه يومئذ، فيقال له: ارفع رأسَك، وسَلْ تُعْطَ، واشفعْ تُشَفَّعْ).

وليس في الشفاعة بهذا المعنى أن الله تعالى يرجع عن إرادة كان قد أرادها لأجل الشافع، بل مردّ ذلك كله الإرادة الأزلية والعلم القديم[3].

---

(١) لوامع الأنوار البهية ج٢ ص٢٠٤.

(٢) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص٣٥٢.

(٣) الشرح الجديد لجوهرة التوحيد للعدوي ص١٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني
اليوم الآخر في الفكر غير الإسلامي

نذكر في هذا المبحث نبذة تاريخية عن فكرة اليوم الآخر، منذ أقدم الأزمنة إلى وقتنا الحاضر، في أشهر الحضارات والديانات العالمية.

١ ـ في حضارة وادي الرافدين:

فكرة القيامة وبعث الأموات:

لم يوجد دليل من النصوص المسمارية يثبت أن العراقيين القدماء يعتقدون بقيامتهم وبعثهم من الموت، وليس هناك ما يثبت إمكانية عودة روح الميت (الاطمو) إلى جسده[١].

وهذا المعنى نجده واضحاً على لسان (كلكامش) حين يندب صديقه (أنكيدو) فيقول:

(آه لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً، وأنا سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين)[٢].

أما حين تتحدث النصوص المسمارية القديمة عن عودتها إلى عالم الأحياء، فإنها تقصد عودتها بهيئة أشباح مستقلة عن الجسد[٣].

---

(١) عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين ص١١٣ وانظر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر ج١ ص٢٣١. والأديان د. رشدي عليان وسعدون الساموك ٧٠ ـ ٧١.

(٢) عقائد ما بعد الموت ص١١٥ ـ ١١٦.

(٣) المصدر السابق ص١١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكرة الحساب:

ذهب الأستاذ هايدل وكريمر وبعض الباحثين إلى أن هناك إشارات واضحة في النصوص المسمارية القديمة تدل على اعتقادهم بفكرة الحساب في عقائد ما بعد الموت في العراق القديم[١]، كما يعتقد المصريون القدماء.

لكن بعد النظر في ما أوردوه من إشارات في النصوص المسمارية، رجح الباحثون انتفاء اعتقادهم بوجود حساب للموتى في عالم الأموات، وبالتالي انتفاء وجود عقاب أو ثواب في ذلك العالم[٢].

وكان سكان وادي الرافدين القدماء يعتقدون أن الخطيئة قديمة بقدم الإنسان، يتعرض لارتكابها دائماً بقصد أو بدون قصد منه.

وارتكاب أي خطيئة ينجم عنه أضرار جسيمة[٣] تتجلى في أمرين:

١ ـ تخلي الآلهة عنه، فيقع عندئذ فريسة للمصائب والكوارث والأمراض وتلاشي السكينة والهناء[٤]. يصف الملك آشور بانيبال الأحوال المتردية في دولته، أنها عقاب تقرر عليه، فيقول:

(لماذا يحيط بي المرض وعذاب القلب والشقاء والألم؟ في البلاد تنتشر الاضطرابات، وفي البيت تحاك الدسائس، إنها تلازمني باستمرار، الكوارث والكلمات الشريرة تتجمع ضدي، لقد حنا مرض القلب ومرض الجسد قامتي.. أصبح الموت نهايتي، إنني أتعذب بالقلق والحزن، فأقضي النهار والليل، ندبت: أيها الإله سلط هذه على الذي لا يخاف الآلهة، ودعني أرى نورك أيها الإله، لمَ قررت كل هذا عليّ؟ إني أتعذب كمَن لا يخاف الآلهة)[٥].

٢ ـ تقصير أجل الحياة، وإحلال الموت بالذنب، عقاباً له على ما ارتكبه من خطيئة.

يدل على ذلك ما ورد من نصوص مسمارية مثل:

(إذا قال شخص ما في المستقبل بأن الحقل لم يوهب، فعسى الآلهة: أنو،

---

(١) المصدر السابق ص١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢) انظر الحجج ومناقشتها في عقائد ما بعد الموت ص١٣٠.

(٣) عقائد ما بعد الموت ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(٤) المصدر السابق ص١٣٥.

(٥) المصدر السابق ص١٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأنليل، وأيا، وننا، وشمس، ومردوح، ونسكو، وسدرننا، ونركال، ولازر، أن يستأصلوه من أساسه، ويمحوا ذريته، عساهم أن ينهوا أمره، وأن يقرروا بأن لا يبقى حياً يوماً واحداً).

وورد معنى هاتين العقوبتين فيما سطره حمورابي في آخر شريعته، من الدعوات على كل مَن يتجاهل أحكام شريعته، أو يمحو القوانين المشرعة فيها، أو يمحو اسم حمورابي ليكتب اسمه بدلاً عنه، أو يأمر شخصاً آخر للقيام بذلك[1].

وعلى عكس ما تقدم، فإن الثواب وهو: صفاء العيش وطول العمر يلحق مَن يفعل الفضيلة والحسنات، والأعمال الورعة، كالخوف من الآلهة، وتقديم القوانين، وبناء المعابد، وصنع التماثيل للآلهة، يتجلى هذا في نص مسماري:

(إن الخوف من الآلهة مدعاة للعطف، وإن القرابين تطيل العمر، إن مَن يخاف الآلهة يطيل الإله (الأنوناكي) عمره).

ويقول سرجون الثاني (٧٢١ ـ ٧٠٥ق.م):

(لحفظ راحتي، وإطالة أيامي، واستقرار حكمي، أركع على الدوام بنفسي في العبادة)[2].

وعلى هذا:

فإن عالم الأحياء في نظرهم هو دار الثواب والعقاب، وليس عالم الأموات. يدل على ذلك أن عقيدة العقاب والثواب بعد الموت، تمثل الوازع النفسي في تصرفات المرء، وفي لحظات اختياره ما بين ما يريد أن يفعله، وبين ما يجب أن يمتنع عنه. وعقيدة سكان وادي الرافدين هذه قد جعلتهم عزلاً من أي ضمان، بانهزام الشر، وإنصاف المظلومين، وثواب الخيرين، في الحياة الأخرى في العالم الأسفل، لذلك حمل الحياة في ظل حضارة وادي الرافدين بكل أدوارها شحنات من القلق والتوتر والتساؤلات البائسة، إضافة إلى نوع من الشعور بالإحباط[3]. والنصوص المسمارية توضح هذا الجانب بشكل جلي.

---

(١) المصدر السابق ص١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) المصدر السابق ص١٤٢ ـ ١٤٣.

(٣) المصدر السابق ص١٤٤ ـ ١٤٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ ـ عند المصريين القدماء:

يعتقد المصريون القدماء سنة ٢٦٠٠ق.م أو قبل ذلك، بحياة أخرى بعد الموت، يلقى الفرد جزاءه على ما فعل من خير أو شر، وهذه العقيدة لم تكن قاصرة على طبقة الكهنة، بل تعدتهم إلى الأوساط الشعبية.

يقول المرحوم عبدالقادر حمزة باشا في كتابه (على هامش التاريخ المصري القديم) عن هذه الفترة.

(وفي هذا الوقت كانت عبادة (أوزريس) قد أخذت تنتشر وتصير عبادة شعبية... وعبادة أوزريس أساسها الأول أن كل إنسان ـ ملكاً كان أو فرداً عادياً ـ مسؤول بعد الموت عن أعماله في الدنيا، أمام محكمة إلهية يتولى القضاء فيها أوزريس نفسه، ويساعده فيها توت وهو إله الحكمة والعلم، وأنوبيس وهو مدير دفن الأموات ودليلهم في الدار الآخرة، وحوريس وهو ابن أوزريس وإيزيس، ومعات وهي الهة الحقيقة والعدل، وإثنان وأربعون قاضياً.

فإذا حكمت المحكمة بأن حسنات الميت ترجح سيئاته، كوفىء بالنعيم الخالد، وصار مثل أوزريس. أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش، أو أن يلقى في النار، أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب)[١].

ثم يتحدث عن هذا الحساب في كتاب (الموتى)[٢]، الذي وجد في أيام الدولة الوسطى، ملخصاً هذه العقيدة قائلاً:

كانوا يجسمون هذه المحاسبة، فيضعون لها في كتاب الموتى، وعلى التوابيت رسم مَحْكمة ومحاكمة وميزان. وفي هذه المحكمة يجلس أوزريس على عرشه، حاملاً عصاه وكرباجه، ومعه إثنان وأربعون قاضياً من الآلهة ـ ويلاحظ هنا أن مصر كانت مقسمة إلى إثنين وأربعين إقليماً، فكأن كلاً من القضاة يمثل إقليماً من هذه الأقاليم ـ فإذا جيء بالميت تسلمه أنوبيس، وأخذ قلبه، فوضعه في إحدى كفتي

---

(١) لكن ورد في الدين المقارن لمحمود أبي الفيض المنوفي ص٧١: إن المصريين يعتقدون أن حسناته إذا ترجحت، دخل السعادة الأبدية. أما إذا ترجحت السيئات رده إلى الأرض، ليكفِّر بواسطة أدوار التقمص من حيوان إلى حيوان عن الذنوب التي ارتكبها، عندما وصل إلى أعلى درجة من المخلوقات. وهي درجة الإنسان.

وعقيدة التناسخ هذه أخذها المصريون عن الهنود.

(٢) كتاب (الموتى) له شأن كبير، إذ زعموا أن أحد الآلهة قد كتبه بيده، فكانوا يتعبدون به في الحياة، ويوضع معهم في القبور/ الأديان للدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك ص٦٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الميزان، ثم يرفعها إلى أوزريس، ويقف بالقرب من توت الوحش (أمابيت، وحش له رأس تمساح وجسم أسد ـ متأهباً لأن يلتهم الميت الذي يصدر الحكم بإتهامه، وفي بعض الرسوم تضاف نيران إلى المحكمة في مكان خاص منها، ليلقى فيها المذنبون، والقلب في الميزان يمثل أعمال الميت في حياته، وهو الذي يشهد بكل ما فعله صاحبه من خير أو شر.

ثم يثبت نص قصة مصرية قديمة، عثر عليها المصور لوجي جريفت في ورقة بردي، وهي في المتحف البريطاني، تصف رحلة، قام بها فتى، اسمه (سينوزيريس) مع أبيه (ساتني)، ليطلعه على طريقة الحساب والثواب والعقاب في العالم الآخر. وهي تدل على أن الحساب لا علاقة له بالغنى والفقر، ويصف فيها نزولهم إلى دار محاسبة الأموات، فيدخلان سبع قاعات واسعة، مملوءة بالناس من جميع الطبقات، فشاهدا ناساً تأكل الحمير من خلفهم، وأناساً يثبون إلى طعام معلّق فوق رؤوسهم فلا يدركونه، بينما الحفارون يحفرون تحت أقدامهم، ليزدادوا بعداً عن الطعام المعلق.

وشاهدا رجلاً منطرحاً تحت الباب على ظهره، ومحور هذا الباب تركز في عينه اليمنى، يدور عليها كلما فتح أو أقفل، وهو لا ينفك يفتح ويقفل، والرجل يصيح من الألم.

ثم وجدا أرواحاً من الأبرار، لكل منها مكان تقيم فيه، وجاء تصوير الخير والشر، الذي يترتب الجزاء عليهما على لسان أحد الموتى، في خطاب وجهه إلى أوزريس، للدفاع في النص الموجود في كتاب الموتى، يقول:

(لقد جئت إليك أجلب الحقيقة، وأطرد الخطيئة، إنني لم أقارف الشر، ولم أعتدِ، ولم أسرق، ولم أقتل غدراً، ولم أمس القوابين، ولم أكذب، ولم أُسِل دموع أحد، ولم أتدنس، ولم أذبح الحيوانات المقدسة، ولم أتلف أرضاً مزروعة، ولم أقذف، ولم أترك الغضب يُخرجني إلى غير الحق، ولم أزْنِ، ولم أرفض أن أسمع كلمة العدل، ولم أسيء الظن بالملك ولا بأبي، ولم ألوث الماء، ولم أحمل سيداً على أن يسيء إلى عبده، ولم أحلف كاذباً، ولم أغش في الميزان، ولم أمنع اللبن عن أفواه الرضع، ولم أصد طيور الآلهة، ولم أرد ماء إلا حين الحاجة إليه، ولم أسد قناة ري على غيري، ولم أطفىء ناراً يجب أن تشعل، ولم يخطر على بالي أن استخف بالآلهة.. إنني طاهر طاهر).

أما تصورهم للعقاب فقد مرّ طرف منه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع
اليوم الآخر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دليل اليوم الآخر والحاجة إلى الإيمان به.

المبحث الثاني: اليوم الآخر في الفكر غير الإسلامي.

المبحث الثالث: اليوم الآخر في الفكر الإسلامي.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليوم الآخر

مقدمة:

عاش الإنسان على ظهر الأرض حياة مختلفة الأطوار.

فهو في حياته البدائية شأنه شأن الحيوانات السائمة كان يعتمد على القوة، إذ أن الحياة آنئذ للأغلب، وفي هذا الدور لم يحس الفرد بقيمته، ولم يفكر بعواقب الحياة. وحين فتح عينيه أخذ يفكر ويتساءل:

هل أن مثل هذا المخلوق العاقل مثل الدابة أو الحشرة، ينتهي إلى مصير واحد، وهو الموت فقط، أم أن هناك حياة أخرى تنتظره؟

ورأى بعض الذين يعملون الشر ينالون العقاب، والذين يعملون الخير يحصلون على الثواب، في حياتهم قبل موتهم، لكنه رأى بعض هؤلاء يدركهم الموت، فلم ينل جزاءه من ثواب أو عقاب، فتساءل:

أيذهب هؤلاء من غير رجعة بلا جزاء؟ أم أن الثواب أو العقاب ينتظرهم في عالم آخر؟ تساءل هذا الإنسان، فربط إيمانه بوجوب الاعتقاد بحياة أخرى بعد الموت، بالقضية الكبرى التي انتهى بها إلى التصديق، بأنّ خلق هذا العالم العجيب الصنع، البديع الإتقان، لا يصدر إلا من إله قادر يحكم بعدالته هذه المخلوقات جميعاً.

لذلك نرى أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر قد ملأت قلوب البشر منذ أقدم الأزمنة. وظهرت شاخصة بين الوثنيات التي ضربت أطنابها في المجتمعات المختلفة: تحكي انتفاضة الضمير الإنساني، وتنبهه إلى الحقيقة.

والراجح البيّن أن هذه العقيدة التي انتشرت بين الناس ما كانت إلا تصديقاً للدعوات جاء بها أنبياء سابقون، ظلت بقاياها راسخة في الضمير الإنساني، يصقلها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتابع الرسالات السماوية، وإن كدرت صفوها الوثنية، التي غمرت العالم حتى اليوم، لا سيما وأن ما يتصل باليوم الآخر لا يدركه الإنسان، ولا يحيط بشيء منه إلا بإخبار من الله تعالى عالم الغيب لأنبيائه، الذين يبلغون ما أمروا به إلى الناس.

وهذا الفصل الذي نعقده للكلام عن اليوم الآخر يتضمن ثلاثة مباحث:

ـ نذكر في المبحث الأول: دليل اليوم الآخر، والحاجة إلى الإيمان به.

ـ ونذكر في المبحث الثاني: عقيدة الإيمان باليوم الآخر في مختلف الديانات العالمية.

ـ ثم نفصل في المبحث الثالث: القول في عقيدة المسلمين باليوم الآخِر، ومشاهد القيامة وما يتصل بها.

❑❑❑❑❑❑

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول
دليل اليوم الآخر والحاجة إلى الإيمان به

أدلة اليوم الآخر[1]:

يمكن أن نقيم الأدلة على اليوم الآخر بما يأتي:

الدليل الأول: إمكان اليوم الآخر:

اليوم الآخر ممكن الوقوع، والإشارات الدالة على ذلك هي:

١ ـ إن الإنسان والكون ليسا أبديين، فالنهاية المروعة آتية عليهما لا محالة، فالإنسان يموت، والكون يتلاشى ويفنى، وهذا يعني أن نظام الكون الموجود حالياً سيدمر، وأن الذي نشاهده من معالم هذا النظام ما هو إلا صورة مصغرة أولية، سوف يتجلى عنها في صورة نهائية كبرى، نلقاها غداً في صورة الواقع[2].

٢ ـ يتألف الجسم الإنساني من الخلايا، وهي ذرات صغيرة جداً ومعقدة، يزيد عددها في جسم الإنسان على ألف مليون مليون خلية، تبني الجسم كما يبنى الجدار من الطابوق، لكن بناء الجدار يبقى على حاله، أما خلايا الجسم فإنها تتغير، فيموت منها ١٢٥ مليون خلية في الثانية الواحدة.

ومعنى ذلك أن جسم الإنسان يموت ويحيا مرات كثيرة في الحياة الدنيا، ولكن مع ذلك فهو محتفظ بشخصيته المميزة، وعاداته وأفكاره، وعلمه وأمانيه، وهو لا

---

(١) انظر دليل الآخرة والحاجة إلى الإيمان بها في: الإسلام يتحدى ص٧٢ وما بعدها. وقد أحال القارىء إلى مراجع أجنبية عديدة.

(٢) انظر تفصيل هذا في الكلام عن الموت وحقيقته وقيام الساعة من هذا الكتاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العرض والحساب

العرض:

إذا بُعث الناس من قبورهم إلى الموقف وقاموا فيه ما شاء الله، يعرضون على الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ... يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٥ ـ ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ [الكهف: ٤٨].

وقال سبحانه: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩][1].

---

(١) شرح العقيدة الطَّحَاوية ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

ثبت بالدليل القطعي في العلم الحديث: أن الأصوات تحرك موجات الأثير، فتبقى إلى الأبد، ومن الممكن سماعها مرة أخرى، إلا أن الصعب هنا هو التمييز بين الأصوات الكثيرة ـ القديمة والحديثة ـ وإن كان هناك احتمال قوي جداً اختراع الأجهزة الكفيلة بالتمييز بين هذه الأصوات.

وليس ذلك بغريب، إذ أن آلاف المحطات الإذاعية في العالم التي تذيع ليل نهار برامجها الكثيرة، والتي تمر موجاتها في الفضاء بسرعة ١٨٦,٠٠٠ ميل بالثانية يمكن التمييز بين واحدة وأخرى حين يفتح المذياع ويدار مفتاحه على المحطة المطلوبة. كما أن تسجيل الأصوات والأشرطة الآن على آلة التسجيل يصلح أن يكون مثالاً لما يحدث في الآخرة.

كما أن العلم الحديث يؤكد بأن جميع أعمالنا التي نباشرها في الضوء أو الظلمة، فرادى أو مع الناس، وحتى الأشياء سواء كانت متحركة أم جامدة، تصدر عنها (حرارة) بصفة دائمة في كل مكان، وفي كل حال، وهذه الحرارة تعكس الأشكال وأبعادها تماماً، وقد تمّ اختراع آلات دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التي تخرج عن أي كائن، وبالتالي تعطي هذه الآلة صورة فوتوغرافية كاملة للكائن، حينما خرجت منه الموجات الحرارية. وذات ليلة حلّقت طائرة مجهولة في سماء نيويورك، فصوّروا الموجات الحرارية لفضاء نيويورك بهذه الآلة وأدى ذلك إلى معرفة طراز الطائرة ونوعها.

فإذا أكد العلم الحديث تسجيل الأقوال والأفعال في الفضاء، فلا تبقى مرية لمرتاب في أمر حساب الله تعالى للناس، ونشر سجلاتهم أمامهم يوم القيامة، لينالوا جزاء ما فعلوه، فيرى حياته كقصة مصورة على فيلم كامل، تتجلى فيها حركاته القلبية واللسانية والعضوية مسجلة بآلات تصوير=

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعرض الناس هذا يكون ثلاث عرضات، بينتها الأحاديث الشريفة، منها: ما أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخِذٌ بيمينه وآخِذٌ بشماله»(١).

ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ولفظه:

«وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخِذٌ بيمينه وآخِذٌ بشماله»(٢).

وأخرجه البَيْهقي من حديث ابن مسعود ﷺ، ولفظه: **«وأما العرضة الثالثة: فتطاير الكتب في الأيمان والشمائل»**.

فتطاير الصحف في اليمين والشمال، هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤].

قال ابن عباس: طائره عمله.

وقال الحسن: يقرأ الإنسان كتابه، أُمِّيًّا كان أو غير أُمِّي.

الحساب:

فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث، حوسبوا بها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨].

والمحاسبة تكون عند إتيان الكتب، لأن الناس إذا بُعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۖ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

= أوتوماتيكية سريعة على صفحة الفضاء في كل حين ليلاً أو نهاراً، قال سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨] ويقول هؤلاء في ذلك اليوم: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] انظر: الإسلام يتحدى ص٨٠ ـ ٨١.

(١) سنن التِّرمذي ـ كتاب: صفة القيامة ـ باب ما جاء في العَرْض ج٧ ص١٤١.

(٢) سنن ابن ماجة ـ كتاب الزهد ـ باب ذكر البعث ج٢ ص١٤٣٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما يُسأل عنه:

وعند الحساب يُسأل العبد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] أي: يُسأل عن ذلك، ويجازى.

وأخرج التِّرمِذي عن أبي بَرْزَة الأسْلَمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزول قدما عبدٍ يومَ القيامة حتى يُسأل: عن عُمره فيمَ أفناه، وعن علمه فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه»**[1].

شهادة الجوارح عليه:

وحين يُسأل العبد عما اقترف في دنياه، يشهد عليه سمعه وبصره وجلده تبكيتاً.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾ [فصلت: ٢٠ ـ ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾ [يس: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [النور: ٢٤].

الحكمة من الحساب:

ومحاسبة الله تعالى لخلقه هي إعلامهم بما لهم وما عليهم، فيؤتى السعداء كتبهم بيمينهم، ويؤتى الأشقياء كتبهم بشمالهم، أو وراء ظهورهم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[2] [آل عمران: ١٠٦].

---

(١) سنن الترمذي ـ كتاب صفة القيامة ـ باب في القيامة ج٧ ص١٣٦ وقال: حسن صحيح.

(٢) التذكرة ٢٥٣ وما بعدها، لوامع الأنوار البهية ١٧١/٢ و١٨٠ ـ ١٨١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنواع الحساب:

منه: اليسير والعسير، والسر والجهر، والتوبيخ والفضل والعدل.

قال بعض العلماء: ذكر الله تعالى الحساب جملة، وجاءت الأخبار بذلك، وفي بعضها ما يدل على أن كثيراً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب، فصار الناس إذاً ثلاث فِرَق: فرقة لا يحاسَبون أصلاً، وفرقة تحاسَب حساباً يسيراً، وهما من المؤمنين، وفرقة تحاسَب حساباً شديداً يكون منها مسلم وكافر. وإذا كان من المؤمنين مَن يكون أدنى إلى رحمة الله، فيدخل الجنة بغير حساب، فلا يبعد أن يكون من الكافرين مَن يكون هو أدنى إلى غضب الله، فيُدخله النار بغير حساب[1].

حكم الإيمان به:

الإيمان بالحساب واجب. لأنه حق ثبت بالكتاب والسنّة والإجماع[*].

❊ ❊ ❊

الحوض

أدلته ووصفه:

الحوض الذي يعطاه النبي ﷺ في الآخرة ثابت بالأحاديث الصحيحة.

والأحاديث الواردة في ذكر الحوض ووصفه تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، استقصاها ابن كثير في آخر تاريخه البداية والنهاية منها:

عن أبي ذَرّ قال: قلت: يا رسول الله: ما آنية الحوض؟ قال:

«والذي نفسُ محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبِها، ألا في الليلة المظلِمة المُضحِية، آنيةُ الجنة مَن شَرِبَ منها لم يظمأ آخرَ ما عليه، يَشْخُبُ فيه مِيزابان من الجنة، مَن شرِب منه لم يظمأ، عَرْضُه مِثل طُولِه، ما بين عَمَّان إلى أَيْلَةَ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل» رواه مسلم[2].

---

(١) التذكرة ٢٨٦، والباجوري على الجوهرة ج٢ ص٧٣ ـ ٧٤.

(*) شرح عبدالسلام على الجوهرة ص٢٢٧.

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وصفاته ج٤ ص١٧٩٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner